المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العـــدد 17 أيـار 2025
No.17 May 2025

لغة العيون في شعر العباس بن الأحنف

م.م. زيد علاء عبد الرحمن حساني
ديوانُ الوقفِ السُّني- دائرة التعليم الدينيّ والدّراسات الإسلامية

-المُلخّص:-
يسعى البحث الموسوم بـ((لغة العيون في شعر العباس بن الأحنف)) إلى بيانِ الأثر الأدبي لثيمة عربيّة خالصة ألاَ وهي (العين) في الشعر العربيّ وتوجّهاته المتعددة، وتحديداً في العصر العباسي، عند شاعرٍ لها مكانة بارزة في هذا العصر ،حيث أكّد البحث من خلال محاوره على الدلالة الشعوريّة النفسيّة المُضطربة؛ لاسيما في سياق الغزل عند الشاعر، وتظهر الانفعالات الدلالية السلبية على العين بسبب أحد أصناف الشعور السلبي: الحزن، الخوف، والغضب، والغيرة، فهي الأصناف التي أعتمد عليها الشعراء في تصوير لغة العيون ومن أكثر الصور الدلالية للغة العيون، في مقابل ذلك نجد الدلالات الايجابية الدّالة على شدة الفرح ووقع المفاجأة، وهنا برزت النتيجة المرجوة التي أعتمد فيها الباحث على منظومة من المصادر والمراجع التي شكّلت ركيزة أساسية لتقديم البحث في أدقّ صورهِ .
-الكلمات المفتاحية : لُغةُ العيون- العباس بن الأحنف- العصر العباسي- الشعر العربيّ

The language of eyes in the poetry of Abbas ibn al-Ahnaf

A.L Zaid Alaa Abdul Rahman Hassani
Sunni Endowment Diwan - Department of Religious Education -and Islamic Studies

-Summary-:
The research entitled ((The Language of the Eyes in the Poetry of Al-Abbas bin Al-Ahnaf)) seeks to clarify the literary impact of a purely Arabic theme, namely (the eye) in Arabic poetry and its various orientations, specifically in the Abbasid era, with a poet who has a prominent position in this era, as the research emphasized through its axes the disturbed emotional psychological connotation; especially in the context of flirting with the poet, and negative semantic emotions appear on the eye due to one of the types of negative feelings: sadness, fear, anger, and jealousy, as they are the types that poets relied on in depicting the language of the eyes and among the most semantic images of the language of the eyes, in contrast to that we find positive connotations indicating the intensity of joy and the impact of surprise, and here the desired result emerged in which the researcher relied on a system of sources and references that formed a basic pillar for presenting the research in its most accurate forms.
-Keywords : The language of the eyes - Al-Abbas Ibn Al-Ahnaf - The Abbasid era - Arabic poetry.

المقدمة :

لغة العيون لغة تناولها كثير من العلماء سواء من علماء النفس أم من علماء الأدب والباحثين؛ للوصول إلى دلالتها وتأثيرها النفسي عند المبدع الأدبي والمتلقي، ومن الشعراء الذين كانت لغة العيون حاضرةً في أشعارهم العباس بن الأحنف، فهو كعَلَمٍ من أعلام الشعر في العصر العباسي؛ يجب الغوص في دلالة لغة العيون وتأثيرها النفسي، فكان عنوان البحث لغة العيون في شعر العباس بن الأحنف، أما منهج الدراسة الرئيس هو المنهج الوصفي التحليلي؛ ذلك لما يقتضيه موضوع البحث من تتبع ظاهرة لغة العيون، وبما

أن لغة العون هي جزء من علم النفس لا بد من الاستعانة به؛ لبيان الأسباب والتأثير النفسي لتلك اللغة، وكذلك استعنتُ بعلم البلاغة في بعض المواضع ولا سيما علم البيان في بعض المواضع؛ لأن له التأثير النفسي والدلالي أيضًا. والتأثير النفسي له دلالة انفعالية إيجابية أم سلبية؛ ولذا كانت الدراسة على مبحثين:

المبحث الأول
الدلالة السلبية

تكمن تلك الدلالة من شعور نفسي مضطرب ولا سيما في سياق الغزل عند الشاعر، وتظهر الانفعالات الدلالية السلبية على العين بسبب أحد أصناف الشعور السلبي: الحزن، الخوف، والغضب، والغيرة، فهي الأصناف التي أعتمد عليها الشعراء في تصوير لغة العيون ومن أكثر الصور الدلالية للغة العيون السلبية:

البكاء

البكاء أكثر لغة العيون صدقًا غالبًا فهي فطرية بين البشر، ولاسيما عند الأطفال إذ ((يتعلم الرضيع سريعًا أن البكاء يلفت انتباهنا))[1]، وهذا مُراد الشعراء عند البكاء، فقد كان البكاء هو أحد أعمدة القصيدة فهو مفتاح قصائدهم فهم يبكون على أطلال المحبوبة؛ لما له من تأثير واقعهم المُعاش، أما في عصر العباس الأحنف أختلف الواقع المُعاش إذ كان العصر العباسي يزدهر في المدن الحضرية، فكان توظيف لغة العين بالبكاء نابع من شعور نفسي حقيقي (الحُزن) غير تقليدي في الغالب، وقد صرح العباس في أكثر من موقع بذلك ومنها قوله[2] (من البسيط):

اليَـــومَ أَبكِـــي عَلـــى قَلبـــي وَأَندُبُـــهُ قَلـــبٌ أَلَـــحَّ عَلَيـــهِ الحُـــزْنُ فَانْصَـــدَعا!

وهذا الحزن نتاج تأثير سلبي في العلاقة بين المُحِبَين ((وما أشد المزاوجة بين دمعة العين ومعنى الحزن الذي تبعثه دوافع كثيرة، كالنوى وهجر الحبيب وفقدان الأهل والأمل))[3] فالبعد واسبابه أصل بكاء الشعراء؛ لذا اوعز العباس سبب البكاء للحب، ومن ذلك قوله[4] (من الخفيف):

عَسْـــكَرُ الحُـــبِّ فـــي فُـــؤادي مُقِـــيمُ فَـــدُموعي لِـــذاكَ سَـــحٌّ سُـــجومُ

أدرك العباس دلالة لغة العيون الصادقة، ولا سيما عندما تنطق بدموعها، وقد صرح بذلك في مواضع عدة منها قوله[5](من البسيط):

فَجاهِـــلٌ قَـــد رَمَـــى بِـــالظَنِّ غَيـــرَكُمُ وَصـــادِقٌ لَـــيسَ يَـــدري أَنَّـــهُ صَـــدَقا!

يَظُـــنُّ هَـــذا وَذا مـــا لَـــيسَ يَعرِفُـــهُ وَدَمـــعُ عَينِـــيَّ بِمـــا أُخفيـــهِ قَـــد نَطَقـــا

وقد صور العباس العين الباكية وأسباب ذلك البكاء بصور كثيرة كلٌ بحسب سياقة، منها:

- البكاء عند العتاب، فيقول[6](من الوافر):

---

(1) المرجع الأكيد في لغة الجسد: آلان وباربارا بيز، مكتبة جرير، الرياض – السعودية، ط/1، 2018م: 69.
(2) ديوان العباس بن الأحنف: أبو الفضل العباس بن الأحنف، شرح وتحقيق: عاتكة الخزرجي، دار الكتب المصرية، القاهرة- مصر، ط/1، 1954: 174. ينظر: المصدر نفسه:180، 218، 229، 285.
(3) لغة العيون، حقيقتها ومواضيعها- وأغراضها، مفرداتها وألفاظها: د. محمد كشّاش، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، د/ط، 1430هـ - 2009م: 71.
(4) ديوان العباس بن الأحنف: تحقيق عاتكة الخزرجي: 239. ينظر: المصدر نفسه:264.
(5) ديوان العباس بن الأحنف: 200. ينظر: المصدر نفسه:90، 94، 102، 145، 156، 181، 184، 203، 224، 228، 282.
(6) ديوان العباس بن الأحنف: 4. ينظر: المصدر نفسه:19، 20، 40، 58، 130.

أَقـــولُ لَهـــا وَدَمـــعُ العَـــينِ يَجـــري سَـــبيلُ الحَـــقِّ لَـــيسَ بِـــهِ خَفـــاءُ
إِذا كـــانَ التَعَتُّـــبُ مِـــن خَليـــلٍ لِموجِـــدةٍ فَلَـــيسَ لَـــهُ بَقـــاءُ

- عـــدم التوافق الشعوري بين طرفـــي عمليـــة التواصل العاطفيـــة والصدّ عنه وهجرانه، يصف ذلك قائلًا[1](من الطويل):

وَأَبكـــي عَلـــى فَـــوزٍ بِعَـــينٍ سَـــخينَةٍ وَإِنْ زَهِـــدَتْ فينـــا نَقـــولُ سَـــتَرْغَبُ

وكان العباس يبكي على ما كان بينه وبين فوزٍ قبل أن ينفصل التوافق بينهما[2]، وكذلك البكاء بسبب هجرها له، فهو من أسباب جيريان تلك اللآلئ الحارقة على خديه[3]، وكذلك يفعل عند الاشتياق[4].

- البكاء لاستعطاف المحبوبة، ويصور ذلك في قوله[5] (من السريع):

أَلا اعتِـــبْ فَـــدَيتُكَ يـــا مُـــذْنِبُ فَقَـــد جِئـــتُ أَبكِـــي وَأَســـتَعتِبُ

- التهدئة النفسية، ((وهذا التدخل من قبل جهاز المناعة النفسي، يستند على أن النحيب الصادق غير المفتعل، والدموع الحارة تمسح آلام المواقف الصعبة، وتترك النفس صافية من الأحزان، ولعل هذه أفضل مزايا البكاء))[6]، ويتمثل ذلك في قوله[7](من الخفيف):

عَلِّمُـــونِي كيـــف التَّعـــزِّي فمـــا أعـــ ـــــرفُ شـــيئًا إلا البُكـــا والنحِيبـــا!

- الهموم كانت سببًا في ذرف الدموع، ((ودموع العين بالإجمال إشارة تنم عن الحزن وآية الأسى والهم))[8] ويصرح العباس بذلك في قوله[9] (من الخفيف):

وَلَقَـــد قُلـــتُ وَالهُمـــومُ رُكـــودُ وَدُمـــوعِي عَلـــى الـــرِّداءِ تَجُـــودُ

استعمل العباس فنين من فنون البلاغة في تصوير الهموم: المجاز حين قال: **وَالهُمومُ رُكودُ**، إذ وصف المعنوي بالمحسوس فالركود السكن للماء أو الريح[10] وغيرها من المحسوسات، وكذلك استعمل الكناية لكثرة البكاء إذ قال: **وَدُموعِي عَلى الرِّداءِ تَجُودُ**. للبالغة في غزارة دموعه.

- السخط، فقد يبكي العاشق خوفًا من ردت فعل المحبوبة، وهذا الخوف مزروع بنفوسنا، فالطفل عند الشعور بعدم الراحة ((يبكي؛ ذلك أنه لا يثق في الموقف غير العادي، ويتولد لديه شعور بالضيق أو بعدم الثقة))[11]، وهذا العباس عندما سخطت منه فوز أخذ بالبكاء؛ لشعوره بالضيق وعدم الثقة من عدم قطع التواصل بينهما، فيقول العباس في ذلك[12](من البسيط):

---

(1) ديوان العباس بن الأحنف: 14، ينظر: المصدر نفسه:19، 214.
(2) ينظر: ديوان العباس بن الأحنف: 163.
(3) ينظر: ديوان العباس بن الأحنف: 37، 14، 138،41.
(4) ينظر: ديوان العباس بن الأحنف: 141، 170، 186، 191، 194، 205، 269، 273.
(5) ديوان العباس بن الأحنف: 23.
(6) علم نفس النمو: كامل محمد محمد عويضة، مراجعة محمد رجب البيومي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، د / ط، 1996م: 9.
(7) ديوان العباس بن الأحنف: 48.
(8) لغة العيون: محمد كشاش: 71.
(9) ديوان العباس بن الأحنف: 78.
(10) ينظر: كتاب العين: الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت 170هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د.إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، د/ط، د/ت: 5/ ٣٢٧.
(11) النمو النفسي والتكييف الاجتماعي: جابر عبد الحميد، محمد مصطفى، دار النهضة العربية، القاهرة – مصر، د/ط، 1962م: 203.
(12) ديوان العباس بن الأحنف: 40. ينظر: م. ن:33، 115، 150.

أَبكـــي إذا سَـــخِطَتْ حَتّـــى إذا رَضـــيَتْ بَكَيْـتُ عِنـدَ الرِّضـا مِـن خَشـيَةِ الغَضَـبِ

- وإذا كان البكاء من شعور سلبي فذلك الشعور يولد شعور إيجابي ممزوج بشعور سلبي، فيصور العباس ذلك بقوله[1] (من البسيط):

بَكَيـتُ مِـن طَـرَبٍ عِنـدَ السَّـماعِ كَمـا يَبكـي أَخـو غُصَـصٍ[2] مِـن حُسـنِ تَـذكيرِ
وَصـاحِبُ العِشـقِ يَبكـي عِنـدَ سَـكرَتِهِ إِذا تَجـاوَبَ صَـوتُ الـبَمِّ وَالزيـرِ

استعمل العباس التشبيه لوصف حالته النفسية؛ لينقلها إلى المتلقي، فشبه بكائه بالغاص عند البكاء، وقد يُرى أن العباس لم يكن صائبًا في تشبيهه إذ كان يمكن أن يصف حاله وهو غاص في البكاء، لكن الأمر غير ذلك؛ فإذا كان الرجل في حالة الطرب لا تلزمه الغصة، فأراد وصف شدة الحالة النفسية المتأزمة في صورة يبالغ فيها عن حالته النفسية المتأزمة، إذ لا يجتمع الطرب الشجي مع الغصة.

- البكاء عند الوداع كان أحد دواعي ذرف الدموع، ويصور العباس ذلك عند رحيل المحبوبة فيودعها بالدموع، فيقول[3](من الكامل):

إِنَّ المَلِيحَـــةَ آذَنَـــتْ بِتَرَحُّـــلِ فَاقصِـــدِ سَـــبيلَ لِقائِهـــا وَوَداعِهَـــا
آنَســتُ مِـــنْ قَلبـــي الغَـــداةَ تَشَـــبُّثًا فَبَكَيْـــتُ قَبـــلَ تَشَـــتُّتِ اســـتِجماعِها

وقد يكون بكاء العباس هو محاكاة لبكاء المحبوبة؛ ((لأن المحاكاة هي أوضح طريقة يمكن للآخرين أن يخبرونا بها بأنهم يتفقون معنا أو يحبوننا))[4]، ولا سيما أن العباس أورد بكاء المحبوبة عند الوداع في موضع أخر، إذ يقول[5](من الخفيف):

لَســتُ أَنسَـــى بُكاءَهـــا يَـــومَ ســـارُوا بِـــأَبي دَمـــعُ عَينِهـــا المَســـجوم
ســـاقَ طَرْفِـــي إِلـــى فُـــؤادِي البَلايـــا إِنَّ طَرْفِـــي عَلـــى فُـــؤادي مَشُـــوم

- الصراع الداخلي بين الهجر والبقاء مع المحبوبة الممزوج بشعور سلبي ينتج عنه أن تنطق العين بحزنها، فيخبرنا عن ذلك بقوله[6](من الخفيف):

أَهُـــمُّ بِـــالهَجْرِ أحيانًـــا وأقتـــرِفُ فليـــتَ شِـــعْري أأمضـــي فيـــه أم أقِـــفُ!
علَّمـــتِ عينـــي بُكًـــا لـــم يَبْكِـــهِ أحَـــدٌ مِـــن كُـــلِّ شُـــفْرٍ[7] بعينـــي دمعـــةٌ تَكِـــف

استعمل العباس المجاز في قوله: **علَّمتِ عيني**، فجعل محل التعلّم العين لا العقل؛ وهذا للتركيز على لغة العيون إذ هي الناطقة بما يختلج في عقله.

---

(1) ديوان العباس بن الأحنف: 114.
(2) الْغُصَّةُ: ((الشَّجَى وَالْجَمْعُ (غُصَصٌ) وَ (الْغَصَصُ) بِفَتْحَتَيْنِ مَصْدَرُ (غَصِصْتُ) بِالطَّعَامِ)). مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، حقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط/ 5، ١٩٩٩م: ٢٢٧. والْغُصَّةُ: ((الشَّجَا. وَقَالَ اللَّيْثُ: الغُصّةُ شَجًا يُغَصُّ بِهِ فِي الحَرْقَدة)). لسان العرب: المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، بيروت- لبنان، ط/٣١٤١٤ هـ: ٦٠/7.
(3) ديوان العباس بن الأحنف: 176.
(4) المرجع الأكيد في لغة الجسد: 260.
(5) ديوان العباس بن الأحنف: 232.
(6) ديوان العباس بن الأحنف: 185.
(7) شُفْرُ العَيْنِ: مَنْبِتُ هُدْبِه. المحيط في اللغة: إسماعيل بن عباد بن عباس بن عباد الاصفهاني، المعروف بالصاحب بن عباد، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت- لبنان، ط/ 1، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م: 7/ ٣٢٥.

- البكاء بسبب مكروه وقع على المحبوب كالمرض، وهذا العباس تنحدر دموعه عندما سمع بمرض فوز، فانشد قائلًا[1] (من المتقارب):

نَفســـــي الفِـــــداءُ لِهَـــــذا المَريـــــــــضِ أَمســـــى الفُـــؤادُ عَلَيـــهِ شَـــفيقا
سَـــــأُلزِمُ عَينَـــــيَّ طُـــــولَ البُكـــــاءِ فَـــــلا تَســـــتَفيقانِ حَتّـــــى يُفيقـــــا

- التعاطف من قبل طرف ثالث خارج عملية التواصل – المحب والمحبوب -؛ فيبكي حزنًا واشفاقًا على المحبوب المُعذب، يقول العباس في ذلك[2](من الوافر):

أَلَـــــمْ تَـــــرَ أنَّ ســـــائِلةً أتتْنـــــي فقالـــت وهـــي فـــي طُلُـــسٍ[3] بَـــوالِ:
ألا أصَّـــــدِّقْ علـــــيّ بِحـــــقِّ فـــــوزٍ فقلـــتُ لهـــا: خُـــذِي أهلِـــي ومـــالِي
ونَـــــدْمانٍ تفـــــرَّغ فـــــي لُجَـــــينٍ لـــــدي طَـــــوْدٍ مِـــــن الأطـــــوادِ عـــــال
بكَـــــى لِـــــي إذ رأى حَزَنِـــــي وشـــــوقي ومعـــــذورٌ لَعَمْـــــرُكَ مَـــــنْ بَكَـــــى لِـــــي!

أما عن توظيف العين الباكية عند العباس، كان على صورتين: الأولى: ما كان توظيف البكاء فقط، وهذه الصورة هي الأكثر توظيفًا كما مرَّ ذكره، والصورة الثانية: ما كان توظيف البكاء في ثنائيات يصور فيها الشاعر قوة الحزن التي تكمن في نفسه، والذي عبَّرَ عنه بالبكاء، وتصويره لتلك الثنائيات؛ يُثير خيال المتلقي فيعيش تجربة الشاعر الوجدانية، ومن تلك الثنائيات التي كان العباس يتخذها اسلوبًا في إثارة مشاعر المتلقي:

- البكاء والخمر: يتجه الشاعر إلى الخمر كرمز إلى الخلاص الذهني و((من أجل اقصاء الخوف الشديد من المستقبل))[4] ففكرة البُعد التي تسيطر عليه ولا يجد السبيل إلى فقدان ذلك الشعور السلبي إلا بالخمر، وكذلك ترتبط الخمر بالدموع في الهيئة إذ كل منها سائل، فالهيئة والتأثير النفسي هو ما يجمع الدمع بالخمر؛ لذا كانت هذه الثنائية حاضرةً عند العباس وكانت أحد ملامح استعماله في لغة العيون السلبية، ومنها قوله[5] (من الطويل):

سَأَســـقيكَ نَـــدْماني بِكَـــأسٍ مِزاجُهـــا أَفـــانينُ دَمـــعٍ مُســـبَلٍ وَسَـــروب

- البكاء والرسائل: استعمل العباس ثنائية الرسائل والبكاء في مواضع عدة[6]، إذ اوعز لغة العيون الحزينة إلى مفعول ما تحويه تلك الرسائل أو تعبير عن الشوق، فيصف ذلك في قوله[7](من الخفيف):

طـــالَ حُزْنِـــي لَمّـــا حَبَسْـــتِ الرَّســـولَا وَاســـتَهَلّتْ دُمـــوعُ عَينـــي هُمُـــولَا
إنْ تَكـــونِي لَـــم تَكْتُبِـــي خَشْـــيَةَ النّـــا ـــسِ فَـــأَلّا أودَعـــتِ ذاكَ الرَســـولا

---

(1) ديوان العباس بن الأحنف: 199.
(2) ديوان العباس بن الأحنف: 218. ينظر: المصدر نفسه:46، 250، 236، 272.
(3) طُلُسٍ: جمع طِّلَسُ وهو ((ضَرْبٌ من الأكْسِيَةِ)). المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/ 1، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م: 8/ ٤٣٥.
(4) لغة الجسد النفسية: 24.
(5) ديوان العباس بن الأحنف: 7. ينظر: المصدر نفسه:87، 165.
(6) تقول الدكتورة عاتك الخزرجي: ((والملاحظ في شعر العباس انه أول من عني بالرسائل الغرامية هذه العناية الملحوظة الملحوظة ... وحسبك أن تعلم أن للعباس بن الأحنف ستًا وسبعين مقطوعة هي رسائل شعرية أو حديث عن رسالة وما نعرف بعض هذا لشاعر عربي قبله)). كتاب العباس بن الأحنف: عاتكة الخزرجي، منشورات وزارة الاعلام – جمهورية العراق، د/ط، 1977م: 65.
(7) ديوان العباس بن الأحنف: 229. ينظر: المصدر نفسه:1، 6، 106، 150، 167، 178، 288، 256-266، 285، 286.

- البكاء والطير: يربط كثير من الشعراء بين الطير والبكاء؛ وذلك لما يحمله الحمام من صوت يدعو إلى الشجون، وأنه قد يكون أكثر حرية في الوصول إلى المكان الذي يرغبه، وعده أحد طرق ارسال الرسائل، وقد صرح العباس بن الأحنف أن الطير هو أحد أسباب بكاءه، في عدة مواضع منها قوله[1](من الطويل):

رأيـــــتُ الحَمـــــــامَ فهيَّجنِـــــــي وفَيَضْـــــنَ مِـــــن عَبرَاتِـــــي غُروبـــــا

- البكاء والسهر: أما ثنائية البكاء مع السهر فالعلاقة بينهما طردية فعند وجود البكاء النابع من حالة نفسية مضطربة بسبب البُعد يمنع صاحبها من النوم، وقد أكثر العباس من تلك الثنائية، مما يكون له دليل على صدق حبه إذ إنه يحرم النوم الذي هو من علامات العشاق، ومما يصف حالته تلك قوله [2](من المنسرح):

إنَّـــكِ لا تَعـــرِفينَ مـــا الهَـــمُّ وَالـــــ ـــــغَمُّ وَلا تَعلَمـــــينَ مـــــا الأَرَقُ
أَنـــا الـــذي لا تَنـــامُ عَيْنِـــي وَلا تَرْقَـــا دُمـــوعِي مـــا دامَ بِـــي رَمَـــقُ

- البكاء: الدموع والدم: يشبه كثير من الشعراء دموعهم بالدم مجازًا؛ إذ يجمع بينهما الألم، وهذا الألم قد عاشه العباس فوظف تلك الثنائية في أكثر من موضع، ومنها ما جمع بين ثنائية الدمع والدم، وثنائية البكاء والسهر؛ محاولًا تصوير حالته النفسية السلبية، إذ قال[3] (من البسط):

عَينـايَ شـامَتْ دَمِـي وَالشُّـوْمُ فـي النَّظَـرِ بُعْـدًا لِعَـيْنٍ تَبِيـعُ النَّـوْمَ بِالسَّـهَرِ

ومما مضى يتوضح دقة حكم الدكتورة عاتكة الخزرجي على العباس، إذ قالت[4]: ((ولو شئت أن تسمي العباس شاعر اليأس أو شاعر الدموع لما عدوت وجه الحق في كلتا التسميتين تقرؤه عبر السطور والدموع تندي بها حروفه)) [5]. ولم يكن اليأس مع البكاء فقط، بل تراه فيما يلي مع موضوعات.

العين الحاسدة المراقبة

الإنسان مخلوق مليء بالمشاعر السلبية والإيجابية ومن تلك المشاعر الحسد وهو: ((أن تتمنَّى زوال نعمة المحسود إليكَ)) [6]، فهو شعور سلبي يحرق صاحبه قبل أن يَنقُلَ جمرته للمحسود فهو ((يضعف اليقين، ويسهر العين، ويكثر الهمّ))[7] ، ومما يركز البحث عليه: الأداة التي تُبعث منها هذه المشاعر السلبية وهي العين، ويذكر الجاحظ قول أحد الحساد: ((إذا رأيتُ الشيء يعجبني، وجدتُ حرارة تخرجُ من عيني))[8]. أما الصورة التي تنطق بها العين بالحسد إذ ((تضيق معها الحدقة بشكل كبير حتى تصل إلى مرحلة ما يصطلح عليه – في لغة الجسد – بـ (العين الخرزية)، وهذه أبرز سماتها، إضافة إلى أن

(1) ديوان العباس بن الأحنف: 47. ينظر: المصدر نفسه:127، 142.
(2) ديوان العباس بن الأحنف: 196-197. ينظر المصدر نفسه:5، 15، 39، 63، 66، 76-77، 95، 99، 100، 103، 128،142، 149، 155، 193، 195. واستعمل العباس تلك الثنائية ليوازن بين حبه وحب المحبوبة له: ينظر: المصدر نفسه:284.
(3) ديوان العباس بن الأحنف: 118. ينظر: المصدر نفسه:163، 224، 235، 240، 244، 247، 249.
(4) العباس بن الأحنف: 113.
(5) العباس بن الأحنف: 113.
(6) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط/4، 1987 م: 465/2.
(7) العقد الفريد: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي، دار دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/ 1، 1404هـ: 171/2.
(8) الحيوان: عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت – لبنان، د/ط، 1996م: 326/2. 326/2.

نظراتها تكون قوية ومركزة ومعدل الإرماش فيها منخفض جدا ويشترك الحقد مع الحسد في هذه الصفة، ولا سيما أن كل منهما يؤدي إلى الآخر)) (1)، فالعين الحاسدة كانت الحاجز بينه وبين محبوبته وتمثلت تلك المعاناة في أبيات نثرها في ديوانه، ومن تلك الأبيات قوله[2] (من الرمل):

إنَّمـــا أَبكـــي عَلـــى جارِيَـــةٍ قـــادَتِ القَلـــبَ إِلَيهـــا بِزِمـــام
حَسَـــدْتنِي نَظـــرَةً فـــي وَجْهِهـــا إِذ جَلَســـنا فَاســـتَحَثَّتْ لِلقِيـــام

والعين المراقبة هي أحد علامات الحب عند العباس، فهي مُصاب العاشقين، إذ لم يكن هنالك مجازفة في الوصل إلى المحبوب والعيون تراقبهم وتتحدث عنهم، فأنه لا يعدهُ حبًا حقيقيًا صادقًا، ويحمل تلك المعاني قوله[3] (من الكامل):

وإنّـــي لأبغِـــضُ عاشـــقًا مُتَحفِّظًـــا لـــم تَتَّهِمْـــهُ أعْـــيُنٌ وقُلـــوب

ويمكن تصنيف أصحاب العين الحاسدة والمراقبة التي وظفها العباس على أربعة أصناف:

الأهل: فعين الأهل قد تعد من أكثر العيون المراقبة التي تبغي قطع التواصل بينهما، وأكثرها تأثير في تلك القطيعة؛ لأنها الأقرب لكلا طرفي عملية التواصل، وقد بث العباس شكواه من تلك العيون في قوله[4] (من (من الطويل):

فَيـــا رَبُّ لا تُشـــمِت بِنـــا حاسِـــدًا لَنـــا يُراقِبُنـــا مِـــنْ أَهـــلِ فَـــوْزٍ وَلا أَهلـــي
وَمـــا بَينَنـــا مِـــن ريبَـــةٍ فَيُراقِبَـــا وَلا مِثلُهـــا يُرْمَـــى بِسَـــوْءٍ وَلا مِثْلـــي
وَإِنّـــي لَأَرعَـــى حَـــقَّ فَـــوْزٍ وَأَتَّقِـــي عَلَيهـــا عُيـــونَ الكاشِـــحينَ ذَوي الخَتْـــلِ[5]

كثير ما يصدر الحسد من النساء ولا سيما من قريناتها، وقد لاحظت ذلك محققة ديوان العباس (عاتكة الخزرجي) إذ قالت: ((أما وقد وضحت معالم شخصيتي المحب والمحبوب لدى العباس فليس لنا بعد إلا أن نحدد معالم الشخصية الثالثة أعني الوشاة والعذال ومن دأبهم التكدير بين المتصافين، وأول هؤلاء أقارب الحبيبين خاصة النسوة اللائي يُحسن الإيقاع بين الطرفين))[6]، ويخبرنا الشاعر عن الحالة الشعورية لأصحاب العيون الحاسدة في قوله[7] (من الطويل):

وَإِنّـــي أَرى مِـــن أَهـــلِ بَيتِـــكِ نِســـوَةً شَـــبَبنَ لَنـــا فـــي الصَـــدرِ نـــارًا تَلَهَّـــب
عَـــرَفنَ الهَـــوى مِنّـــا فَأَصـــبَحْنَ حُسَّـــدًا يُخَبِّـــرنَ عَنّـــا مَـــن يَجـــيءُ وَيَـــذهَب

العاشق يحسد المعشوقة: عندما يطلق الشاعر على عينه بأنها تحسد المحبوبة لا يقصد إزالة النعمة عن المحبوبة، بل للبالغة في تعبيره عن حالته النفسية العصيبة، ومنها قوله[8](من السريع):

---

(1) لغة الجسد في السيرة النبوة: خالد محمد المسيهيج، دار مدار الفكر، الرياض- السعودية، ط/1، 2002م: 100.
(2) ديوان العباس بن الأحنف: 234.
(3) ديوان العباس بن الأحنف: 60. ينظر: المصدر نفسه:142.
(4) ديوان العباس بن الأحنف: 210. ينظر: المصدر نفسه:27.
(5) الختل: هو ((تخادع عن غفلة)). كتاب العين: 4/ ٢٣٨.
(6) كتاب العباس بن الأحنف: 122.
(7) ديوان العباس بن الأحنف: 12.
(8) ديوان العباس بن الأحنف: 101.

تَحْسُـــدُ عَينـــي عَـــينَ مَـــنْ يَرْقُـــدُ وَمُســـــهري أَوَّلُ مَـــــنْ أَحْسُـــــدُ
أَمسَـــتْ تَـــذودُ النَـــومَ عَـــن مُقلَتِـــي ظُلمًـــا وَقَـــد طـــابَ لَهـــا المَرْقَـــد

العاشق يحسد العين التي رأت المحبوبة: عندما يُحرم العاشق من رؤية المحبوبة، يتملكه الشعور السلبي (الغيرة) فيحسد الرائي لتلك المحبوبة على شيء قد لا يكون له قيمة معنوية عند ذلك الرائي، وهذا ما حدث للعباس فحسد حلقة الوصل بينه وبين محبوبته؛ لأن عينه تقع عليها، فيقول[1] (من البسيط):

يـا ذا الرَسـولُ الَّـذي يُهـدي السُـرورَ لنـا إِنّـي لَتَحسُـدُ عَينِـي عَينَـكَ النَّظَـرا
أَمَّـا الخَيـالُ فَـإِنّي سَـوفَ أَعـذِرُهُ عاتَبتُـهُ فَأَجـالَ الـدَمعَ وَاعتَـذَرا

الحاسد والمراقب من عامة الناس: وهو من يملك شعور سلبي اتجاه العاشق؛ لأنه محروم من تلك الحالة العاطفية، وهو ما أكثر من ذكره العباس في ديوانه سواء كان ذِكره بلفظ الحاسد أم الكاشح أم المراقب، ويصور الشاعر معاناته من تلك العيون المراقبة بقوله[2] (من السريع):

يـا وَيْـحَ مَعشـوقَيْنِ ماتـا وَلَـمْ يُـداوِيا عِشْـقَهُما بِاجتِمـاعْ
حَتّـى مَتـى نَحـنُ عَلـى رِقْبَـةٍ لا نَلْتَقِـي خَشْـيَةَ واشٍ وَسـاعْ؟
فَـإِنْ تَلاقَيْنَـا فَفـي خُفْيَـةٍ لا نَشـتَفِي مِـنْ نَظَـرٍ وَاسـتِماع
وَالحُـبُّ لا تَكمُـلُ لَذَّاتُـهُ لأَهلِـهِ إِلّا بِكَشْـفِ القِنـاع

صور متعدد من لغة العيون السلبية

لم تقصر لغة العيون السلبية على البكاء أو العين الحاسدة المراقبة، بل أورد العباس صور سلبية تنطق بها العين منها:

العين المتقلبة: وصورتها الناطقة بأنها حركتها تتكرر بين جهات عديدة، وأصل التقلب في اللغة: ((رَدّ شَيْءٍ مِنْ جِهَةٍ إِلَى جِهَةٍ))[3]، وتنطق تلك العين بمكنون سلبي يحدد دقته السياق الذي حدثت فيه، كالخوف، أو التضرع كما صرح به العباس في قوله[4](من الطويل):

فَأُقسِـمُ لَـو أبصَـرتِني مُتَضَـرِّعًا أُقَلِّـبُ طَرفِـي نـاظِرًا كُـلَّ جانِـب
وَحَـولِي مِـنَ العُـوّادِ بـاكٍ وَمُشـفِقٍ أُباعِـدُ أَهلـي كُلَّهُـمْ وَأَقـارِبي
لَأَبكـاكِ مِنّـي مـا تَـرينَ تَوَجُّعًـا كَأَنـكِ بـي يـا فَـوزُ قَـد قـامَ نـادِبي

العين الناكرة: وصورتها تكون بأحد أمرين: عدم التفاعل البصري بين طرفي عملية التواصل، أو النظر شزرًا[5]، يقول العباس بن الأحنف[6] (من السريع):

يـا ذا الـذي أَنكَرَنِـي طَرْفُـهُ إِذ ذابَ جِسـمِي وَعَلانِـي شُـحوب

العين الحزينة: وصورتها أن ((تتدلى الزاوية الخارجية للعينين إلى الأسفل... قد تشكل الحواجب شكل مثلث))[1] فالأجفان المتدلية سببها حالة نفسية سلبية سواء كانت بسبب الحزن أم الارهاق البدني، وهذا العباس يشبه نظرته بنظرة صاحب المرض الشديد، ويصف تلك النظرة بقوله[2] (من الكامل)

(1) ديوان العباس بن الأحنف: 126. ينظر: المصدر نفسه:206.
(2) ديوان العباس بن الأحنف: 171. ينظر: المصدر نفسه:75، 122، 197، 260، 289.
(3) معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د/ط، 1979م: 17/5.
(4) ديوان العباس بن الأحنف: 16. ينظر: المصدر نفسه:3.
(5) الشزر: هو ((نظرٌ فيه إعراض، كنظر المُعادي المُبغض... وطعن شزر، أي: من ناحية)) كتاب العين: 231/6.
(6) ديوان العباس بن الأحنف: 57.

نَظَـــرَتْ إلَيـــكَ بِمُقلَـــةٍ مَحزونَـــةٍ نَظَـرَ الصَـحيحِ إلـى المَـريضِ المُـدْنَفِ [3]

العين الخاضعة: وصورتها بـ((خفض الجفون مع رفع الحاجب والنظر لأعلى ... لإظهار الخضوع))[4]، فالعباس قد اخضعه الحب ونطقت عينيه بذلك، وهذا بقوله[5](مجزوء الكامل):

وَإذا خَضَـــــــعتُ بِمُقلَتِـــــــي مُتَتَبِّعًـــــا مِنهـــــا رِضـــــاها

ومما سبق يُلاحظُ تنوع صور لغة العيون السلبية؛ وهذا تبعًا للحالة الشعورية التي خيمتْ على الشاعر، ومن أكثر صور العيون السلبية: البكاء فديوانه يقطر بدموعة، فوظفه في صور وسياقات عدة تجعل المتلقي في حالة مزاجية متفاوتة حسب قوة السياق كالعتاب، والاستعطاف، والتهدئة، والسخط، والخوف، وغيرها من السياقات، وكذلك تعمل الصورة الشعرية في نفس المتلقي، ومن تلك الصور الثنائيات التي وظفها الشاعر إذ جعل البكاء مرتبط: بالخمر، والرسائل، والطير، والسهر، والدم. ولم تقصر لغة العيون السلبية على البكاء، بل كانت العين الحاسدة المراقبة هي أحد عوائق التواصل بين طرفي عملية التواصل في السياق الغزلي: وكان توظيف تلك العيون على ثلاثة أصناف فهم: الأهل، وذات الشاعر، وعامة الناس. ولم يقصر العباس على توظيف ما ذُكر من لغة العيون السلبية، بل وظف العين المتقلبة، والحزينة، والخاضعة؛ جاعلًا من العيون الناطقة عن المشاعر السلبية.

المبحث الثاني
لغة العيون الإيجابية

لغة العين الإيجابية لغة يرومها طرفيْ عملية التواصل إذ تكمن الحالة الشعورية في القلب ويترجمها العقل عن طريق العين فتتجلى كلماتها بهيئتها أو حركتها، وكذلك الرغبات الجسدية كانت أحد الدلائل التي تفضحها العين بلغتها، ويعمل الدماغ البشري على افراز هرمونات وناقلات عصبية التي عن طريقها يشعر الانسان بالسعادة ومنها الأكسيتوسين(Oxytocin) والذي يسمى هرمون الحب ((وهو المسؤول عن الاستجابة العاطفية (المحبة)، ويتم إنتاجه في الجهاز الحوفي[6]))[7] ، فالشعراء لم يعرفوا سبب هذه السعادة البيولوجي لكنهم وصفوا حالتهم الشعورية وصورتها في لغة عيونهم أو في عيون محبوباتهم فوصفوها بأنها قريرة العين، وكذلك صوروا سحر العيون وتأثيرها عليهم، وغيرها من دلالات لغة العين الإيجابية.

---

(1) أقرأ الناس كأنهم كتاب: باتريك كينغ، ترجمة: نهى الشاذلي، دار دَوِّن، القاهرة- مصر، د/ط، 2022م :63.
(2) ديوان العباس بن الأحنف: 187. ينظر: المصدر نفسه:56.
(3) المدنف: الضَنِيّ الصَدْر. كتاب العين: ٧٦/3.
(4) المرجع الأكيد في لغة الجسد: 174-175.
(5) ديوان العباس بن الأحنف: 287.
(6) الدماغ الحوفي أو الدماغ الثدي العتيق: وهو الذي تكون فيه المشاعر، فضلًا عن مهام أخرى يوعز بها للجسد لأداء مهام لا تحتاج إلى تفكير منها: إنه يوقظ النائم عند الشعور بالعطش أو الجوع، ويخبرنا عن حاجة الجسم إلى الراحة بعدها يخبرنا أن الجسد يستطيع العمل من جديد، وغيرها من الإيعازات البعيدة عن التفكير والتخطيط، فهو الذي يوعز للجسد بالحركات اللاإرادية، وهو الدماغ الصادق التي تكون إيماءاته وإشاراته صادقة. ينظر: أثر تطبيق العلوم العصبية على التعليم الناجح: جيمس ستيلر، ترجمة: أسماء عليوه، ونورا محيي الدين، مجموعة النيل العربية، القاهرة – مصر، ط/1، 2018م: 56-57. ينظر: الكلام بدون كلام أساليب الاستقراء وكشف الخداع المعتمد على تحليل حركات الجسد: جو نافارو، ترجمة وإعداد: هالة الطويل، شعاع للنشر والعلوم، حلب – سوريا، ط/1، 2010م: 27-32.
(7) الأسرار السبعة للقيادة من منظور علم الأعصاب: كريج ريد، ترجمة: غادة سليمان، المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة- مصر، ط/1، 2020م: 38.

العين القريرة

فيما مضى مرَّ بنا أن عيون المحبين قد سخنتْ بدموعها الملتهبة بنار قلوبهم، وكان السبب الرئيس في ذلك هو البعد سواء البعد الجسدي، أم البعد العاطفي، وما إن التقى الطرفين قرَّتْ عيونهم[1] ونطقتْ بلغتها الفرحة، وقد صرح العباس بأن سبب قرَّة العين واقلاعها عن لغتها الحزينة في القُرب إذ صرح بذلك في قوله[2] (من البسيط):

فَقَـــرَّتِ العَـــينُ يـــا نَفسِـــي بِقُـــربِكُمُ وَغـــابَ هَمّـــي وَوافَـــى رُوحِـــيَ الجَسَـــدا

فالحمـــدُ للهِ ذِي النَّعمـــاءِ يـــا سَـــكَنِي حَمْـــدًا كثيـــرًا لِربّـــي دائِمًـــا أبَـــدا

وأوعز العباس بسبب آخر لقرة عينه وهو التواصل البصري، إذ ((نحن نميل إلى إجراء المزيد من التلامس البصري مع الأشخاص الذين نحبهم ونتفق معهم))[3] يبعث ذلك الشعور الإيجابي في نفس المتلقي (قرة العين)، وهذا ما أراده العباس من محبوبته، إذ قال[4] (من الطويل):

أَمَـــا اســـتَوجَبَتْ عَينـــي ـفَـــدَيتُكِ ـ نَظـــرَةً إلَيـــكِ وَقَـــد أَبكَيتِهـــا حِجَجًـــا عَشْـــرَا؟

لَعَمـــرِي لَـــئِن أَقـــرَرتِ عَينِـــي بِنَظـــرَةٍ إلَيـــكِ لَقَـــد عَـــذَّبتِها بِالبُكـــا دَهْـــرا

ولغة العين القريرة هي مراد العباس؛ لذلك أطلق على محبوبة المسماة فوزًا بـ (قرة العين)، فيقول[5] (من البسيط):

يـــا قُـــرَّةَ العَـــينِ يـــا مَـــنْ لا أُســـمِّيهِ يـــا مَـــنْ إذا خَـــدِرَتْ رِجْلِـــي أُناديـــهِ

وبما أن لغة العين القريرة قد وظِفتْ في السياق الإيجابي عند أغلب الشعراء ومنهم العباس، فقد وظفها العباس أيضًا في السياق السلبي، فيصور معاناته بكثرة الأرق والبكاء على محبوبته مقارنًا بين عين الساعين في استأصل تلك المودة وبين الطرفين المتحابين: بالقريرة، وهذا بقوله[6] (من الطويل):

تَنـــامُ عُيـــونُ الكاشِـــحينَ قَريـــرَةً وَعَينـــي بِأَصـــنافِ البُكـــا تَتَـــدَفَّقُ

فَيـــا عَجَبـــاً لِلعَـــينِ أَمّـــا رُقادُهـــا فَعـــانٍ وَأَمّـــا الـــدَمعُ مِنهـــا فَمُطلَـــقُ

خفض جفون العين

تحاول المرأة كسب قلب الرجل بأساليب عدة، ومن أكثر تلك الأساليب: استعمالها للغة العيون في صور كثيرة تنطق بها عين المرأة بلغة إيجابية تفتح بها آفاق التواصل، ومن صور لغة العيون الإيجابية الناطقة هي خفض الجفون فـ ((إن خفض الجفون مع رفع الحاجب والنظر لأعلى وفتح الشفاه قليلًا عبارة مجموعة إيماءات استخدمتها النساء لقرون لإظهار الخضوع... ولا تزيد هذه الإيماءة المسافة بين الجفون

---

(1) القرّ بمعنى: ((البرد، وليلة قَرَّةٌ ويومٌ قَرٌّ وطعام قارٌّ... والقُرَّةُ كل شيء قَرَّتْ به عينك، وَقَرَّتِ العَيْن تَقَرُّ قَرَّةً نقيض سخنت)). كتاب العين: 21/5. فالعين القريرة هي التي لا يَظهرُ عليها اضطراب، بل تكون هادئة مبتسمة، تنمُ عن سكون الحالة الشعورية، وسرور يخفق في القلب.

(2) ديوان العباس بن الأحنف:95. ينظر: المصدر نفسه:124.

(3) لغة الجسد: كارولين بوييز: ترجمة وإعداد: مها فخري قنبر، شعاع للنشر والعلوم، حلب – سوريا، د/ط، 2020م: 42. 42.

(4) ديوان العباس بن الأحنف:143. ينظر: المصدر نفسه:64، 76، 114.

(5) ديوان العباس بن الأحنف: 284. ينظر: المصدر نفسه:137، 165، 190، 233، 281.

(6) ديوان العباس بن الأحنف: 197. ينظر: المصدر نفسه:256.

والحواجب فقط، ولكنها أيضًا تعطي الشخص نظرة غامضة سرية))[1]. وقد صور العباس تلك العيون باستعمال عدة الفاظ منها[2]:

- العين الفاترة: وهي أن تسكن العين عن حِدَّتِها، وتلين بعدَ شِدَّتِها[3]. فالطرف اللين يكون بإرخاء الجفون، وعكسه تكون الجفون مشدودة إذ تنم عن المنعة والشدة، وهذا اللين هو مراد المُحب ويصف العباس تأثير العين الفاترة بقوله[4](من الطويل):

أُتـــيحَ لِقَلبـــي مِـــن شَـــقاوَةِ جَـــدِّهِ غَـــزالٌ غَريـــرٌ[5] فـــاتِرُ الطَّـــرْفِ ســـاحِرُه
تَقَـــنَّصَ عَقلـــي دَلُّـــهُ وَأَعانَـــهُ عَلـــى قَـــبْضِ رُوحـــي ثَغْـــرُهُ وَمَحـــاجِرُه
وَقَـــد فَعَلَـــتْ كُـــلَّ الأَفاعِيـــلِ عَينُـــهُ بِجِســـمِي فَأَمسَـــى وَالسِّـــقامُ مُخـــامِرُه

- العين المريضة: وهي أن تكون ((العين فيها فتور))[6]، وقد استعمل الشعراء صيغة العين المريضة للحبوبة مجازًا لمشابهتها العين التي تنم عن مرض حقيقي يعتري الجسد في الهيئة. ومن الأبيات التي وظف فيها العباس تلك الصيغة قوله[7] (من الطويل):

أَيـــا نَفـــسُ مَـــن نَفسِـــي إليـــهِ مَشُـــوقَةٌ وَمَـــنْ قَـــد بَـــرَى جِســـمي هَـــواهُ وَمـــا شَـــعَرْ
وَمَـــنْ هُـــوَ مَحْجُـــوبٌ كَلِفـــتُ بِحُبِّـــهِ صَـــحيحٌ مَـــرِيضُ المُقْلَتَـــينِ إذا نَظَـــر

تأثير العين الإيجابية

العين الساحرة

استعمل الشعراء لفظ السِّحر في وصف لغة العين مجازًا؛ لأن تأثير تلك العيون يشابه السِّحر عندهم فهم لا يعلمون أن تلك النظرات بصورها المتعددة المتأتية من حركتْ العين أو من هيئتها تحفز هرمونات السعادة عند المُحب، فالسعادة شعور ناتج عن تلك الهرمونات أو الناقلات العصبية؛ ولهذا وصف العباس وغيره من الشعراء سحر العيون المتأتي من لغتها الإيجابية الباعثة على السعادة. فالعين الفاترة هي أحد أسباب السعادة، يقول العباس واصفًا تلك العين بالسِّحر في قوله[8](من الطويل):

يَهـــيمُ بِحَـــرَّاتِ[9] الجَزيـــرَةِ قَلبُـــهُ وَفيهـــا غَـــزالٌ فـــاتِرُ الطَـــرفِ ســـاحِرُهْ

ويرى العباس أن العين السّاحرة تُغني عن جميع المحاسن والمفاتن، ويعمم ذلك الحكم على النَّاس اجمع، وهذا بقوله في سياق الغزل لفوز[10](من الطويل):

---

(1) المرجع الأكيد في لغة الجسد: 174-175.
(2) قد مرَّ خفض الجفون للدلة السلبية (الخضوع).
(3) ينظر: كتاب العين: 8/ 114.
(4) ديوان العباس بن الأحنف: 150. ينظر: 75، 129.
(5) الغرير: هو الذي لا يُفزع. تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط/ 1، 2001م: 19/8
(6) معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة): أحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق)، دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان، د/ط، ١٩٦٠ م: 280/5.
(7) ديوان العباس بن الأحنف: 149. ينظر: المصدر نفسه:109.
(8) ديوان العباس بن الأحنف: 151.
(9) الحَرَّةُ: الأرض ((الصُّلْبَةُ الغليظةُ الَّتِي الْبَسَتْها كُلها حِجَارَة سود نَخِرَةٌ كَأَنَّهَا مُطِرَتْ)). المحكم والمحيط الأعظم: 2/ ٥١٩.
(10) ديوان العباس بن الأحنف: 144.

فأنـــتِ التـــي مـــا فِيـــكِ شـــيء يَعُـــدُّهُ ... لـــكِ النَّـــاسُ إلا أنَّ طرفَـــكِ ســـاحرِ
هجـرتِ ومـا أقـوى علـى الهجـرِ سـاعةً ... ألا ليـــت قلبـــي مثـــلَ قلبـــكِ صـــابرِ

وبما أن تأثير النظرات الإيجابية من قبل المحبوبة خفي كالسِّحر؛ كان وصف ذلك التأثير بصور عدة يحاول فيها الشاعر وصف ذلك التأثير الخفي على مشاعره، ومنها:

- الحُب: وهذا بقوله[1] (من السريع):

مُـــنَعَّمٍ كالبَـــدرِ فـــي طَرْفِـــهِ ... سِـــحرٌ بِـــهِ يَجنـــي ثِمـــارَ القُلـــوب
أَورَثَ قَلبـــي مِـــنْ جَـــوى حُبِّـــهِ ... داءً عَيـــاءً مـــا لَـــهُ مِـــن طَبيـــب

- الموت: وهذا بقوله[2](من مخلّع البسيط):

فَكَـــم إلـــى كَـــم يَكـــونُ هَـــذا ... يـــا أَيُّهـــا الســـاحِرُ الخَلـــوبُ [3]
بِطَرفِـــهِ تُقسَـــمُ المَنايـــا ... وَدَلِّـــهِ تَمـــرَضُ القُلـــوبُ

- الأرق: وهذا بقوله[4](من السريع):

وَالنَـــومُ قَـــد نَفَّـــرَهُ أَحْـــوَرٌ ... أَغَـــنَّ ســـاجِي الطَـــرْفِ سَـــحَّارُ
وَالعَـــينُ قَـــد أَســـعَدَنِي دَمعُهـــا ... تَمُـــدُّه مِـــن كَبِـــدي نـــارُ
بِواكِـــفٍ[5] يُغـــرِقُ إنســـانَها[6] ... سَـــحَابُهُ بِالمـــاءِ مِـــدرارُ

- العذاب: وهذا بقوله[7] (من السريع):

وا بِـــأَبي عَينُـــكِ هاتـــا الَّتـــي ... تَنفُـــثُ فـــي قَلبِـــيَ بِالسِّـــحْرِ
زَوَّدَتنِـــي إذ جِئـــتُكُم زائِـــرًا ... مِـــن حُـــبِّكُم قاصِـــمَةَ الظَهـــرِ

العين الجارحة

مرَّ ذكر وصف تأثير العين بالسحر، وكذلك وصفوا العيون بالجارحة وما يدل على القتل وآلاته، فالبشر ((هم الوحيدون من الرئيسات الذين لهم بياض العيون، يعرف باسم "الصلبة"، ... وبياض العين هو وسيلة للتواصل ليتيح للبشر رؤية المكان الذي ينظر إليه الآخرون؛ وذلك لأن الاتجاه مرتبط بالحالة العاطفية))[8] ، فتستعمل المرأة اتجاه حدقة العين في التأثير على قلب الرجل، ((وفعالية التعبير بالعين تظهر من خلال أثرها في سامع إشارة كلامها ومتبادل الحديث معها. فألفاظها - بحسب مقام التعبير - سهام تجرّ الموت خلفها. وتفسير اجتلاب العين المنية للإنسان يقع في خانة اعتبارها بريد الفؤاد، تأتي له

(1) ديوان العباس بن الأحنف: 18.
(2) ديوان العباس بن الأحنف: 37.
(3) الخلوب: هو ((أن تَخْلُبَ المرأة قلب الرجل بألطف القول وأخْلَبِهِ. وامرأةٌ خَلاّبةٌ أي: مذهبة للفؤاد. كتاب العين: ٢٧٠/4.
(4) ديوان العباس بن الأحنف: 130.
(5) الوَكْفُ: هو ((القطر... أي: تفجر. ودمع واكفٌ)). كتاب العين: 5/ ٤١٣.
(6) إنْسَان العَيْن: الحدقة. ينظر: تهذيب اللغة: 22/4.
(7) ديوان العباس بن الأحنف: 132.
(8) المرجع الأكيد في لغة الجسد: 170.

بأسباب القتل حين توقعه في داء الحب فيصيبه السقم ثم يبلى ويموت))[1]. وقد استعمل العباس الفاظ مجازًا لها دلالة القتل وما يرتبط به ومنها:

- الجرح: وهذا بقوله[2] (من الطويل):

وَقَـــد جَرَحَـــتْ عَينـــاهُ قَلبِـــي فَأَصـــبَحَتْ مُكَلَّمَـــــةً أَوســـــاطُهُ وَجَوانِبُـــــهُ

- السِّهام: وهذا بقوله[3](من السريع):

رَمَـــــتْ ظَلـــــومٌ بِسِـــــهامٍ لَهـــــا قَلبـــــي فَقَـــــد أَقصـــــدتِ القَلبـــــا

- الجمع بين السِّهام والجرح: وهذا بقوله[4] (من الوافر):

أَيـــــا لَـــــكِ نَظـــــرَةً أَودَتْ بِقَلبـــــي وَغـــــادَرَ سَـــــهمُها جِســـــمِي جَريحـــــا

غض البصر

وظف العباس غض البصر والصّدود[5] في أكثر من صورة وبأكثر من موضع؛ و((هذا السّلوك يخدم في إعطاء الدماغ فترة استراحة مؤقتة، أو في توصيل أعمق مشاعرنا العاطفية، ولكن بغض النظر عن السبب فإن الدماغ يستمر في إجبارنا على أداء هذا السلوك)) (6)، وقد يدل هذا على العفة، أو برهانًا على على صدق الحب، أو الخوف[7]، ((وفي الواقع فإننا نحاول دائمًا مراقبة البيانات الواردة من خلال آلية النجاة في دماغنا الطرفي والتي تُعرف بحجب العين والتي تطورت لتحمي الدماغ من رؤية صور غير مرغوب بها))[8]. فالسياق هو الحاكم على الشاعر في توظيف غض البصر، ومن تلك السياقات:

- المجاهدة: وهو صراع المحب بين قلبه وغرائزه، فالمحب الصادق (العفيف) هو الذي ينتصر على الرغبة، وقد تمثل ذلك عند العباس في قوله[9](من الطويل):

لَقَـــد حُجِبَـــتْ عَينـــايَ عَـــن كُـــلِّ مَنظَـــرٍ وَمـــــا خُلِقَـــــتْ عَينـــــايَ إِلّا لِتَنْظُـــــرا

- الخوف: إذ ((لولا وحي الملاحظ ما استودع سِرّ ولا فاه مُحبّ، إلا هُتك وجهر، وشاع ما قال واشتهر))[10] ويصور العباس ذلك إذ يقول[11](من الطويل):

بنفســـي التّـــي مَـــرَّتْ بِنـــا وهـــيَ تَسْـــتَخْفِي فأَثْبَتَهـــــا قلبـــــي وأنكرَهـــــا طَرْفِـــــي
ولـــو لـــمْ يَنَلْهـــا الطَّـــرْفُ لـــمْ تَـــكُ رُوحُهـــا لِتَخْفَـــى علـــى رُوحِـــي أمـــامِي ولا خَلْفِـــي

استعمل العباس المجاز في قوله: **وأنكرَها طَرْفِي**. فالطرف لا ينكر، بل العقل، لكنة صور لغة عيونه التي نطقتْ عن خوفه. ويقول ايضًا موظفًا الصدود[1](من المتقارب):

---

(1) لغة العيون: محمد كشاش: 59.
(2) ديوان العباس بن الأحنف: 52. ينظر: المصدر نفسه:74،
(3) ديوان العباس بن الأحنف: 43.
(4) ديوان العباس بن الأحنف: 74.
(5) الصدود في بعض السياقات له دلالة غض البصر.
(6) الكلام بدون كلام: 184.
(7) قد يكون غض البصر أو الصدود في السياق السلبي أيضًا.
(8) الكلام بدون كلام: 184.
(9) ديوان العباس بن الأحنف: 124. ينظر: المصدر نفسه:159.
(10) لغة العيون: محمد كشاش: 41.
(11) ديوان العباس بن الأحنف:185. ينظر: المصدر نفسه:216.

كِلانـــــــا مُحِـــــــبٌّ، وَلَكِنّنـــــــا نُـــــدافِعُ عَـــــن حُبِّنـــــا بِالصُّـــــدودِ

- التبرير: العتاب: قد مرَّ أن العباس زاوج بين البكاء والعتاب، وفي سياق آخر قد زاوج بين غض البصر والعتاب، إذ يصور مشهدًا يتضمن حوارًا بين طرفي عملية التواصل، محاولًا نفي النظر إلى غيرها بنظرة الرجل للمرأة، إذ يقول[2](من البسيط)

قالَـتْ: نَظَـرتَ إلـى غَيـري فَقُلـتُ لَهـا: يَمـــينَ ذِي قَسَـــمٍ بِـــاللهِ مُجتَهِـــدا
مـــا أَضـــمَرَ القَلـــبُ شَـــيئًا تَغضَـــبينَ لَـــهُ إلا رَفَعـــتُ إلَيـــكِ الطَـــرفَ مُعتَمِـــدا
وَإنْ هَوَيـــتِ- فَمـــا عِنـــدِي مُخالَفَـــةٌ- فَقَـــأتُ عَينَـــيَّ حَتّـــى لا أَرى أَحَـــدَا

- برهان الحب الصادق: من علامات الحب العفيف هو غض النَّظر عن غير المحبوبة، لكن العباس يعكس غيرةَ المرأة على عين الرجل فيجعل الغيرة كامنة في نفسه؛ ليبرهن على شدة حبه، بل إن عينيه إذا وقت على غيرها من النساء تحولت صورتها إلى صورةِ فوزٍ، مستعملًا المجاز، فجعل للعين إرادة في النَّظر لا إيعازًا من العقل، مصورًا ذلك في قوله [3](من الطويل):

أَغـــارُ عَلـــى طَرْفِـــي لَهـــا وَكَأَنَّمـــا إذا رامَ طَرْفِـــي غَيرَهـــا لَـــيسَ يُبْصِـــرُ
وَمـــا عَرَضَـــتْ لِـــي نَظـــرَةٌ مُـــذْ عَرَفْتُهـــا فَـــأَنظُرُ إلاّ مُثِّلَـــتْ حَيـــثُ أَنظُـــرُ

- الحياء: لا يفتأ العباس عن بيان صدقِ حبه فهو الذي يحاول أن يبرهن على صدق حبه وطلب الرضا والبعد عن العتاب، لكنه يُصِر على أن عينيه لا تكف عن غزل المحبوبة بهيئتها وحركتها الناطقة، لكنها لا تمد عينيها له خجلًا وحياءً، فيقول واصفًا ذلك [4](من الطويل):

فُـــؤادي وَعَينـــي حافِظـــانِ لِغَيبِهـــا عَلـــى كُـــلِّ حـــالٍ مِـــن رِضـــاءٍ وَمِـــن عَتَـــبِ
تُغازِلُهـــا عَينـــي فَيقصِـــرُ طَرفُهـــا عَلَيهـــا، وَيَـــأبى الوَصـــلَ مِـــن غَيرِهـــا قَلبـــي

- عدم الخيانة: لا تقتصر الخيانة عند المرأة بالحالة الجسدية فقط، بل تتعدى ذلك إلى الحالة النفسية والمتأتية عن طريق العين، وقد أدرك الشاعر ذلك فصرح به في سياق تواجده في أكثر الأماكن التي تحدث فيها الخيانة الجسدية (الخمارة)، فضلًا عن خيانة العين؛ وهذا ليبرهن على قوة الارتباط العاطفي بالمحبوبة، إذ يقول[5](من الطويل):

أَلا رُبَّ يَـــومٍ يـــا ظَلـــومُ قَطَعتُـــهُ بِمُلهِيَـــةٍ حَســـناءَ يُعظِمُهـــا الشَـــربُ
فَأُقسِـــمُ مـــا خانَتـــكِ عَينِـــي بِنَظـــرَةٍ إلَيهـــا، وَلا كَفّـــي، وَلا خانَـــكِ القَلـــبُ

- المهابة: تدل على الإجلال، وتبعث أحيانًا في نفس الرائي شعورًا بالخوف لا إرادي[6] وهذا ما تمثل في العباس عند رؤية فوزًا، إذ يقول[7](من الخفيف):

---

(1) ديوان العباس بن الأحنف: 99. ينظر: المصدر نفسه:28، 65، 183.
(2) ديوان العباس بن الأحنف: 80.
(3) ديوان العباس بن الأحنف: 122. ينظر: المصدر نفسه:202.
(4) ديوان العباس بن الأحنف: 26.
(5) ديوان العباس بن الأحنف: 33. ينظر: المصدر نفسه:126.
(6) ينظر: كتاب العين: 4/ ٩٨.
(7) ديوان العباس بن الأحنف: 79.

وَأَرانِـــي إذا اِلتَقَينـــا أَغُـــضُّ الطَّـــر ... فَ مِـــن دونِهـــا وَمـــا بـــي صُـــدود[1]
هَيبَـــةً مِـــن جَلالِهـــا مِثـــلَ مـــا يُقـــ ... ـــصِرُ مِـــن دونِ والِـــدٍ مَولـــودُ

وفيما ذُكر في هذا المبحث الإيجابي للغة العيون يصور العباس مشاعره المعنوية الكامنة في قلبه ونقلها إلى المتلقي، ومن المعاني الإيجابية: العين القريرة وهي العين الباردة التي لا تضطرب بدمعها كما صورها العباس محولًا إطفاء جمرات العيون السلبية، فالعين تقرُ عند التواصل البصري بين المحبين ومكمن ذلك القُرب المكاني. ومن لغة العيون الإيجابية التي وظفها العباس: العين المنخفضة جفونها التي تحمل الدعوة الإيجابية للطرف الآخر من عملية التواصل، وقد وظف هذه العين بعدة تراكيب وصيغ منها: العين الفاترة، والعين المريضة، وهذه الهيئة تنماز بهدوئها، ولها تأثيرها الساحر في قلب المتلقي، فوصف أثر تلك العيون بالحب، والموت، والأرق، والعذاب النفسي، ولم يقصر الشاعر على توصيف تأثير لغة العيون الإيجابية بالسحر، بل هي جارحة لقلبه بسهام لغة عيونها. ومن لغة العيون الإيجابية غض البصر فهو إما أن يصرح بلفظ غض البصر أو بالصد الدال على غض البصر فهو دليله على الوفاء وصدق العاطفة غالبًا، إذ وظفه في سياق: المجاهدة الغريزية، والخوف، والتبرير، والحياء، وغيرها.

وفي ختام هذا البحث الذي لم تسع صفحاته التفصيل بتوثيق لغة العيون في ديوان العباس، يتبين أن لغة العيون جزء رئيس في فهم الدلالة اللفظية، ولا سيما عند شاعر كالعباس بن الأحنف فهي أحد شهوده على عفة شعره؛ إذ الشعر تعبير عن خلجات نفسية، ولا يمكن معرفة حقيقة الشاعر من غير دراسة لغة العيون في شعره، وكذلك معرفة الناقد أو المبدع بطريقة توظيف تلك اللغة سواء كانت في هيأة العين الناطقة أم في استعمال الفنون البلاغية ولا سيما المجاز، وقوة تأثيرها في خيال المتلقي في تصوير الموقف أو الحدث مما ينعكس على تأثيرها النفسي بالسلب أو الإيجاب.

(1) الصَّد هنا بمعنى المنع من التواصل.